العربية لغة المستقبل لأنها لغة الإنسانية

بقلم زيد بن عبد العزيز بن فياض

مدير عام المكتبات ـ الرياض

الصلة بين الاسلام واللغة العربية ساطعة كالشمس فى اشراقها كيف لا والقرآن نزل بلسان عربي مبين على رسول عربي كريم والاسلام وهو خاتم الاديان واكملها جاء لهداية البشرية واسعادها دنيا وأخرى فى جميع شئونها على مستوى الفرد والجماعة وعلى نحو يحقق الغاية المثلى فى الدين والسياسة والاقتصاد وهدوء النفس واطمئنان البال (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

لقد كانت الشرائع قبله لاقوام مخصوصين اما الاسلام فهو للناس اجمعين ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة .

وكيف السبيل الى افهام مئات الملايين من الناس هذا الدين وذلك التشريع ما لم يكن بلغة تجمع بين السهولة والشمول ؟ وتحوي خصائص مميزة لا تتوفر فى أية لغة أخرى من لغات العالم لغة لا تستعصى على الفهم ولا تنبو عن الذوق ولا تعجز عن البيان ومن لطف الله بعباده أن نزل القرآن بلسان عربي على رسول عربي .

« والعرب هم افهم من غيرهم واحفظ واقدر على البيان والعبارة ولسانهم اتم الالسنة بيانا ونمييزا » .

ولابدع بعد ذلك أن يكون القرآن بلغة العرب . ولم يكن من قبيل الصدفة أو الاعتباط اختيار الله لرسول من العرب خاتما للنبيئين ودينه اكمل دين وشريعته اعظم شريعة . ولا غرابة ان يقع الترابط بين الدين واللغة وان يكون كل واحد منهما سببا لانتشار الآخر : الدين بنقائه وبراهينه ويقينه وتحقيقه للسعادة الدنيوية والابدية واللغة العربية بوضوحها وسلاستها واتساع افقها وتنوع مدلولاتها كما قال عنها حافظ ابراهيم :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
انا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ومعرفة اللغة عامل قوي فى فهم الدين وادراك معاني القرآن الكريم فمعرفتها جزء من الدين وتعطى الوسيلة فيه حكم الغاية لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب حسب القواعد الاصولية المعلومة .

« فان الله لما انزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي وجعل السابقين الى هذا الدين متكلمين به لم يكن سبيل الى ضبط الدين ومعرفته الا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين فى معرفة دين الله واقرب الى اقامة شعائر الدين واقرب الى مشابهتهم للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار فى جميع أمورهم (1) »

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 162 ـ 163

والمسلم مكلف شرعا ان يتدبر القرآن وكيف يتأتى له تدبره اذا لم يكن يعرف اللغة العربية ومفروض عليه قراءة الفاتحة فى كل ركعة من صلاته ولا يجوز قراءتها فى الصلاة مترجمة الى لغة اخرى والالفاظ المشروعة فى الصلاة والصيام والحج والادعية والاذكار : كيف يؤديها اذا لم يعرفها ويجد نطقها بالعربية وكيف يفهم التفسير والحديث اذا لم يعلم اللغة العربية وكيف يعرف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الامة اذا لم يكن له المام باللغة العربية ان ذلك كله مما يدعو المسلم الى العناية باللغة العربية وفهمها لان بواسطتها يفهم الدين . اذا فان الدين يدعو الى نشر اللغة العربية والى بثها فى اصقاع الدنيا حتى تكون عالمية وهى لغة عالمية بحق تجد صدى فى النفوس وتشوقا للاطلاع على مفرداتها ومراميها واسرارها . فهى ذات جرس اخاذ ونبرات صريحة ومعان غزيرة ومدلولات متنوعة كل يجد فيها بغيته وينال مراده فى غير حصر او اعياء ودون تكلف او عناء فيها اللفظ الرقيق البالغ فى الرقة غايتها وفيها الكلم القارص والقول الجزل والخطاب الرصين والجمل الحاوية لكل مقام ما يناسبه ولكل حال ما يوائمها .. وليس المرء بحاجة الى انتحال الدليل وتكلف الحجة على جمال هذه اللغة العظيمة وتقبل النفوس لها لان ذلك واضح للعيان وجلي فى التبيان لا يعتري فيه الا معاند . ويكفي انها الآن لغة لمائة مليون نسمة تمتد رقعة اراضيهم بين قارتين من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي وكانت ابان النبوة وتنزل الوحي من السماء لغة اهل الجزيرة العربية وحدهم وقد انتشرت فى اوقات مزدهرة من العصور الاسلامية من الصين حتى الاندلس وانطوت فيها لغات عدة كامس الدابر بعد ان رضي اهلها باللغة العربية التي وجدوا فيها بغيتهم وعثروا فيها على ضالتهم وما برح المسلمون من غير العرب يتفوهون بكلمات عربية كثيرة وفى تركيا وايران المثل الحي على ما نقول . هذا مع ما اصاب المسلمين من بلاء الاستعمار . والمحاولات الكثيرة والجهود الكبيرة التي بذلت وتبذل لقطع صلة المسلمين بدينهم ولغة قرآنهم ورسولهم . ولولا قوة هذا الدين وتكفل الله بحفظه وما فى لغة العرب من خصائص حباها الله بها لكان المستعمرون اعداء العرب والمسلمين قد قضوا على الدين وعلى اللغة العربية ومن العجب ان يظل الدين واللغة رغم تكالب الاعداء وتوالى المحن قويين عزيزين وان فى الجزائر التي رزحت تحت نير الاستعمار قرنا وثلاثين سنة لمعجزة من معجزات القرآن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فبقي الدين بها صامدا كالطود وما برحت اللغة العربية سامقة تلفظ العجمة الدخيلة وتنبذ رطانة المستعمر المطرود .

« كتب جول فرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الارضية حتى يصلوا او يدنوا من وسطها ولما ارادوا العودة الى ظاهر الارض بدا لهم ان يتركوا هناك اثرا يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخرة كتابة باللغة العربية ولما سئل جول فرن عن وجه اختياره للغة العربية قال : انها لغة المستقبل (1) »

لقد كان فهم اللغة العربية سببا لانتشار الاسلام بين القبائل العربية فى جزيرة العرب ذلك ان بلاغة القرآن وفصاحته واعجازه مما يبهر العقول ويحير الالباب فوقف البلغاء والفصحاء مشدوهين امام بلاغته الباهرة . وقد عجزوا عن الاتيان بسورة من مثله او آية وفيهم المكذبون المعاندون الذين يودون معارضته ويتمنون القدرة على ان يأتوا بمثله وانى لهم ذلك وهو كلام الله رب العالمين (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

وحين ادعى من المشركين من ادعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحر وكذاب وانه تلقى الكتاب من شخص اعجمي تحداهم الله ان يأتوا بمثله او بمثل سورة منه فظهر عجزهم وبان خطؤهم . فتيقن الكثيرون منهم صحة هذا الدين وسلامته وبعده عن السحر والكهانة والافتراء ودخلوا فيه طائعين — بعد ان شهدوا من البراهين ما يقنع ومن الحجج ما يجلو الشك ويزيل الارتياب . ولقد كان الدين هو الآخر سببا فى انتشار اللغة العربية فقد اقبلت البلدان والشعوب التي اعتنقت الاسلام لما علمت وضوحه ويسره وعدالته وشموله لخيري الدنيا والآخرة على تعلم اللغة العربية وتفهمها مما سبب انتشارها على نطاق واسع لم يعد محصورا فى جزيرة العرب وما حولها وانما امتد آلاف الاميال وحتى نسيت شعوب كثيرة لغاتها الاصلية واصبحت اللغة العربية لغتها الوحيدة بها تعتز واليها تنتمي عن قناعة واطمئنان

---

(1) انظر ص 12 من كتاب القياس فى اللغة العربية تأليف : محمد الخضر حسين — القاهرة — سنة 1353 — .

لانها لغة القرآن العظيم وتحتوي على ما يريده المرء فى ارقى لغة واجملها .. وضعف اللغة العربية دليل على ضعف الدين فى النفوس فكلما اعرض الناس عن لغة القرآن وتعلقوا بلغات اجنبية شغفوا بتلك اللغات وقلدوا اهلها وشابهوهم فى اخلاقهم وعاداتهم ونتج عن ذلك استخفاف بلغة العرب وابتعاد عن فهم الدين ودراسته . وللغة دور مهم جدا فى التاثر والمشابهة . ونظرة الى بعض المثقفين ثقافة اجنبية تعطي المثل الصارخ على مدى اعجابهم بأولئك الاجانب واعتزازهم بعاداتهم واخلاقهم واشادتهم بكل ما لديهم من حرية مزعومة وتفكير حر وانطلاق بلا حدود وتتشدق بحضارتهم ورقيهم وقد يطعنون فى الاسلام واحكامه وتشريعاته وفى الاخلاق الكريمة والمثل الرفيعة فى بلاد المسلمين ويتهكمون باللغة العربية وآدابها . وما ذاك الا من اثر البعد عن الدين والجهل باللغةالعربية والحكم على الشيء قبل تصوره !

ومنذ بزوغ الاسلام واللغة العربية عنوان على الاسلام تقوى بقوته وتضعف بضعفه ويتمكن اذا عزت ويهون اذا ذلت وقد تختلف مظاهر الضعف وأنواعه فقديكون تشبثا بالخرافات والوثنياتوالتفاهات وقد يكون الحادا وشيوعية وماسونية ووجوديةوانحلالا يتمثل ذلك فى القرامطة والباطنية واتباعهم من جهة وفى عباد الاولياء والصالحين ومشيدي الاضرحة على القبور من جهة ثانية . ان لغة العرب التي بها نزل القرآن هى لغة تفي بجميع المتطلبات فى اللغة وان تأثير الفاظ القرآن واللغة العربية فى اللهجات واللغات الاقليمية من غير العرب كثير من الصعب حصره وفى **اللغات المختلفة فى البلدان الاسلامية او التي تقطنها اغلبية مسلمة الفاظ عربية صميمة** هيمنالكثرة بحيث لا يمكن استيعابها واحصاؤها . فاللغة الفارسية والاردية والتركية فيها من لغة العرب الشيء الكثير. وتأثير الفكر الاسلامي واللغة العربية واللهجات لغير العرب من المسلمين هو من الكثرة والوضوح مما لا يحتاج الى جدل ولا سبيل الى نكرانه ولا ريب ان اللغة العربية قد أطل عليها التحريف قديما بسبب اختلاط اهل الجزيرة العربية بالاعاجم لذا أمر الامام علي رضى الله عنه ابا الاسود الدؤلي أن يضع قواعد للغة العربية لتكون بمنأى عن التحريف والضياع والف سيبويه امام النحاة « الكتاب » وقام علماء الاسلام من عرب وعجم بتأليف القواميس والمعاجم وكتب النحو لتمييز لغة العرب من لكنة الاعاجم ولبيان ما هو لغوي فصيح وما هو منتحل مدخول لئلا يختلط الحابل بالنابل ويضيع الصحيح بين السقيم ولم تسلم لغة التخاطب غالبا من اللحن والتحريف وان سلمت الكتابة فى اعظم الاحيان من هذا الداء الوبيل . وصار فى كل قطر لهجة يعرف بها فيها من مخالفة القواعد العربية والتراكيب النحوية ما فيها . وان كانت لغة العرب ليست مجهولة لديهم اذا حدثوا بها او سمعوها على ان الحديث بها سليم من الاخطاء النحوية والتراكيب العربية ليس بامكان كل احد ان يأتى به على نحو متكامل .

واللهجة فى نجد من اقرب اللهجات الى العربية والالفاظ غير العربية منها قليل ومنها ما هو بلغة احدى قبائل العرب الكبرى غير قريش وهى تميم كتسهيل الهمزة مثلا فيقولون راس بدلا من رأس وما يتكلم به اهل نجد فيمكن ارجاعه الى اصل عربيغالبا وان شابه بعض من التغيير الطفيف هذا من ناحية الالفاظ ومدلولاتها .

أما من ناحية القواعد العربية من نحو جر المنصوب ورفع المجرور ونصب المرفوع فهذا كثير بين العامة ولا يقدر على تمييزه الا من عرف قواعد النحو كفن من الفنون العربية المهمة . واللغة العربية هى اللغة الاولى تخاطبا وكتابة فى الدوائر الرسمية والشركات والمؤسسات وبين الافراد وفى المدارس والمجتمعات . وفى بعض المراحل الدراسية يدرس التلاميذ اللغتين الانجليزية والفرنسية ومع ذلك فان اللغة العربية هي التي تحتل المكانة البارزة والعناية الفائقة ولا تنافسها او تجاريها اية لغة اخرى وقد مضت قرون طويلة على الجزيرة العربية وما فتئت تولي اللغةالعربية من العناية ما هي به جديرة وظلت هى اللغة الاولى ليس معها منازع او منافس . وبعد فان العالم الذي يسعى للتقارب والتفاهم ويكون المنظمات الدولية لتبادل الراي واستقرار السلم والتعارف بين الامم فى حاجة الى لغة موحدة يستطيع بواسطتها ان يجد الوسيلة الفضلى لنتفاهم ولابد مَن أن تكون اللغة المطلوبة وافية بالغرض واضحة الاساليب غنية بالفاظها ومفرداتها واشتقاقاتها وتعريبها ونحتها لتساير التطور وتتمشى مع الاحتياجات الجديدة والمخترعات الحديثة .

وليس هناك لغة تفي بهذا الغرض سوى اللغة العربية التي بها نزل القرآن واستمرت على مدى القرون المتطاولة قوية منتشرة متفرقة استمدت منها لغات كثيرة الفاظا وعشقتها أمم فنسوا لغاتهم

القديمة وفضلوا اللغة العربية عليها لما فيها من جمال وجزالة واتساع .

وفى كل يوم يزداد المتكلمون بها والدارسون لاساليبها وبيانها والمشيدون بعظمتها فى الشرق والغرب . ولم تكن اللغة العربية بهذه الصفات الفائقة صدفة واعتباطا فهى اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على رسول عربي بعثه الله الى الناس اجمعين وجعل شريعته للبشر كافة . لذا فلا غرو ان تكون **اللغة العربية على ارقى مستوى واعلى درجة من التبريز والتفضيل على سائر اللغات** فصمدت قوية شامخة على الرغم من تكالب الاعداء والمحاولات اليائسة لتحطيمها ومحوها من الوجود . ان فضل اللغة العربية جلي لايحتاج الى براهين ولكن لا بأس من ذكر بعض الاقوال الحصيفة والنعوت الصادقة للغة العربية العظيمة .

قال الامام الشافعي فيما رواه السلفي باسناده : ينبغي لكل احد يقدر على تعلم العربية ان يتعلمها لانها اللسان الاولى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (1)

واما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر واهله ولاهل الدار وللرجال مع صاحبه ولاهل السوق او للامراء او لاهل الديوان او لاهل الفقه فلا ريب ان هذا مكروه فانه من التشبه بالاعاجم .

ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا ارض الشام ومصر ولغة اهلهما رومية وارض العراق وخراسان ولغة اهلهما فارسية واهل المغرب ولغة اهلها بربرية عودوا اهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على اهل هذه الامصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ثم تساهلوا فى امر اللغة واعتادوا التخاطب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند عند كثير منهم ولا ريب ان هذا مكروه . وانما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار فى الدور والمكاتب فيظهر شعار الاسلام واهله ويكون ذلك اسهل على اهل الاسلام فى فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم اراد ان ينتقل الى اخرى فانه يصعب عليه . واعلم ان اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر ايضا فى مشابهة صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين . وايضا فان **نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب** فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وقال ابن فارس فى فقه اللغة :

« **لغة العرب افضل اللغات** واوسعها قال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان وقال تعالى (خلق الانسان علمه البيان) فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بانشائه من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة فلما خص سبحانه اللسان العربي بالبيان علم ان سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه (2)

وقال الفارابي فى ديوان الادب :

« **هذا اللسان كلام اهل الجنة** وهو المنزه من بين الالسنة عن كل نقيصة والمعلى من كل خسيسة والمهذب مما يستهجن او يستشنع فبين مباني باين بها جميع اللغات من اعراب اوجده الله وتاليف بين حركة وسكون حلاه به فلم يجمع بين ساكنين او متحركين متضادين ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما او يشنع ذلك منهما جرس النغمة وحسن المسمع كالغين مع الخاء والقاف مع الكاف والحرف المطبق مع غير المطبق مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد فى اخوات لهما والواو الساكنة مع الكسرة مع الكسرة قبلها والياء الساكنة مع الضمة قبلها فى خلال كثيرة من هذا الشكل لاتحصى (3)

وقال السيد رشيد رضا : « انه لما كان الاسلام دينا اصلاحيا عاما لجميع البشر كان من اصوله **دعوة الامم** كلها الى التوحيد فى الدين والشرع **واللغة التي هى اعظم مقومات الامم النفسية والسياسية والاجتماعية** لتكون الامة الاسلامية بهم متحدة لا

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 206 .
(2) المزهر فى اللغة وانواعها للسيوطي ج 1 ص 321 — 322
(3) المزهر ج 1 ص 342 — 343

يفصل بين افرادها ولا جامعاتها شيء من اختلاف الانساب والاوطان .

كما انه لما كان الاسلام دين التوحيد دينا عاما لكل البشر وكان من مقاصده ان يؤلف بينهم فرض عليهم **توحيد اللغة** فخرجت هذه اللغة عن ان تكون لغة شعب واحد منهم ولولا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الاسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها فى المشرق والمغرب مع الاسلام » .

وقال الاستاذ حسين الهمداني الباكستاني : « انه **ليس فى مكنة العالم الاسلامي ان يحكم اتصالاته او يدعم روابطه الااذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة** اتقن دراستها وواجبنا اولا ان نتخذ الحروف المطبعية العربية حروفا بها نكتب لغاتنا، فعلى العالم الاسلامى ان يخطو هذه الخطوة وان يتخذ العربية لغة واحدة ».

واللغة العربية من الروابط المتينة بين الشعوب الاسلامية لانها لغة القرآن والتحدث بها والكتابة على قواعدها واساليبها مما يقرب صاحبها من السلف الذين يدرسون اللغة ويعنون بها لتكون مساعدا لهم على فهم القرآن وتدبره وكان ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما وغيرهما يستشهدون بالاشعار التي قالها شعراء العرب عند تفسير الآيات ويحفظون من الشعر الشيء الكثير .. ومعرفة لغة العرب سبيل لاقتفاء السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان حيث كانوا يتحدثون بهذه اللغة ويتعمقون فى فهمها وسيلة لفهم الشريعة اصولها وفروعها ..

فان « اللغات من اعظم شعائر الامم التي بها يتميزون » . ولهذا كان كثير من الفقهاء او اكثرهم يكرهون فى الادعية التي فى الصلاة والذكر ان يدعى الله او يذكر بغير العربية ..

فاما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية سواء قدر عليها او لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذي لا ريب فيه . بل قال غير واحد انه يمتنع ان يترجم سورة او ما يقوم به الاعجاز (1) وقد رأيت بحثا جيدا لاحد المعاصرين وهو الاستاذ انور الجندي فى كتابه : « اللغة العربية بين حماتها وانصارها فاحببت ايراده لما فيه من فوائد :

« كانت مخالفة للنواميس الطبيعية التي عرفت لمختلف اللغات فقد ظهرت شابة مكتملة دون ان تمر بمرحلة طفولة او تتعثر فى طريق طويل . وكان نضوجها من الاعاجيب التي شغلت كل الباحثين والعلماء .

والاعجب من هذا انها عاشت قرابة الفوخمسمائة سنة وهى تؤدي مهمتها على نحو متحرك تجاوبت فيه مع الزمن والتطور تفردت حتى بين اللغات السامية باطراد الاوزان وقواعد التعريب وقواعد الاعراب .

واستطاعت ان تجري مع الحضارات وتلبى مطالبها ، وقد اكد الباحثون ان **بقاء اللغة العربية على هذا النحو يكاد يكون معجزة من المعجزات** وليس اعجب من هذا ونحن ندرس هذه اللغة ان نجدها غنية غناء لا حد له .

فقد قال الخليل فى كتاب العين : ان عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل (12،305،412) كلمة ولعله اراد ما يمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثى والرباعي والخماسي .

وقال الحسن الزيدي : ان عدد الالفاظ العربية 6،699،400 لفظ لا تستعمل منها الا 5620 لفظا والباقي مهمل .

وقد كان الاسلام عاملا ضخما من عوامل اللغة العربية وبالرغم من انها خرجت من الجزيرة واتجهت الى الفرس والهند والشام ومصر وعبرت البحار الى افريقيا الجنوبية فالاندلس فانها استطاعت ان تحتفظ بفصاحتها ووحدتها وكيانها رغم اختلاطها بلغات اخرى . بل انها استطاعت ان تزيح هذه اللهجات وان تملي لغتها على هذه الامم فان لم تسيطر سيطرة كاملة اثرت تأثيرا كبيرا بروحها وافكارها .

وفى الشام وما بين النهرين سادت العربية على اللغات السريانية والكلدانية والنبطية والآرامية ..

وفى مصر سادت العربية وحلت محل اليونانية والقبطية والسريانية قبل أن ينقضي القرن الاول الهجري ...

وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الاسلامية وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والاردية والافغانية والكردية والمغولية والبربرية والسودانية والابجية والساحلية كما كتبت بها لغة اهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون 250مليونا ماعدا نحو90

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 402

مليونا يكتبون اللغة العربية بالخط العربي وقد حدث هذا منذ الف سنة لهذه الامم الكثيرة وبه دونت آدابها وعلومها وفنونها . وقد رصدت الابحاث المتعددة عن مكانة اللغة العربية **وانها اضخم اللغات ثروة** وامواتا ومقاطع وحروفا وتعبيرات حتى انها تفوق اللغة الانجليزية فى عدد الاصوات اذ بها 28 حرفا غير مكررة فى حين ان اللغة الانجليزية بها 26 حرفا ومنها مكرر (1) .

وفى اللغة العربية حروف لاصوات لا توجد فى كثير من اللغات الاخرى مثل الحاء والخاء والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف .

وقد اشتهرت اللغة العربية بالثراء من ناحية الالفاظ عن طريق المترادفات كثرة واضحة (400 اسم للاسد) (300 للسيف) (200 اسم للحية) (255 للناقة) (170 اسما للماء) (100 اسم للخمر) (70 اسما للمطر) كما تنوعت في الاساليب والعبارات كالحقيقة والمجاز والتصريح والكتابة .

ومن هذا الغنى والوفرة جاءت مقدرتها الكبرى فى غزو الامبراطوريتين العظيمتين الفرس والروم وخاصة الاولى التي نبغ منها كثيرون أمثال الفيروزابادي وابن المقفع وابى نواس وابي حنيفة وقد تحولت **اللغة العربية بعد الاسلام من لغة الشعر الى لغة الشرع والفقه وأصبحت لغة علمية** وترجمت عنها عشرات من المؤلفات الفلسفية والعلمية (2)

ولو ذهبنا نستعرض الاقوال ونستطلع الآراء فى فضل اللغة العربية وميزاتها لطال البحث وخرج عن هدفه ...

ولكن بعض الناس قد يقول : هذا الرأي لاهل اللغة فى لغتهم ومن أين لنا أن أصحاب اللغات الآخرين يؤيدون هذه الاقوال ويعتبرونها عادة ليس باعثها التعصب والهوى ؟

وهذا التساؤل مدفوع بداهة بما تشتمل عليه اللغة العربية من خصائص وما تحويه من مميزات يشهد بها من عرف اللغة العربية من غير أهلها ممن لم ينقد للتعصب الاعمى وخلا من الاغراض السيئة .

ولسنا فى شك من عظمة لغتنا العربية حتى نحتاج الى شهادات من المستشرقين . وانما نذكر امثلة نرد بها على تساؤل قد يورده متفلسف او متحذلق . وليعلم من يردد كلمات يسمعها دون ان يدرك مغزاها من جهة ذوي النوايا المشبوهة من القدح فى اللغة العربية ورميها بالجمود والتخلف والزعم الباطل انها صعبة تستحيل على الفهم وينغلق دونها الذهن ان هذه الآراء لا تمت للحقيقة بصلة .

وليس من مرامنا ايراد الكثير من الامثلة . ونجتزىء بالقليل عن الكثير والمثال عن التوسع. والحر تكفيه الاشارة ! .

وقد اعترف بفضل اللغة العربية وشمولها وسلاحيتها لان تكون **لغة عالمية** كثير من المستشرقين. من ذلك ما قاله المستشرق ارنست رينان فى كتابه تاريخ اللغات السامية : « من اغرب المدهشات ان تنبت تلك **اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري** عند أمة من الرحل . تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم من يوم عنيت ظهرت لنا فى حلى الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغير يذكر حتى انها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى **ولا نعلم شبيها لهذه اللغة** التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة (3) »

وقال مثل ذلك فرينباغ الالمانى حيث قال : « ليست **لغة العرب اغنى لغات العالم** فحسب بل الذين نبغوا فى التاليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد .

ويقول : ريتشارد كوتهبل : « **لا يعقل ان اللغة الفرنسية والانجليزية تحل محل اللغة العربية وان** شعبا له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية ولغة مرنة لينة ذات مادة لا تكاد تفنى لا يخون ماضيه ولا ينبذ ارثا اتصل اليه بعد قرون طويلة عن طريق آبائه واجداده » .

---

(1) **حوت اللغة الانجليزية نحو الف كلمة عربية**وهناك نحو 270 كلمة من اصل عربي تستعمل بكثرة فى اللغة الانكليزية .

(2) اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص 3—6

(3) القياس فىاللغة العربية ص18 واللغة العربيةبين حماتها وخصومها لانور الجندي ص 25

ان التباين الجزئي الذي يبدو بين اللهجات العربية لابد ان يزول وعليه فسيكون لدينا **منطقة عربية تتكلم لغة واحدة شاملة .**

كان للعربية ماض مجيد وفى مذهبى انه سيكون لها مستقبل باهر .

ويقول مرجليوت استاذ اللغة العربية فى جامعة اكسفورد : « **اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقة** ...

ويقول وليم ورل المستشرق الامريكى : « ان اللغة العربية لم تتقهقر فى ما مضى امام اى لغة اخرى من اللغات التي احتكت بها وينتظر ان تحافظ على كيانها فى المستقبل كما حافظت عليه فى الماضي **وللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات هذا العصر .**

وتتحدث جريدة يوركشير بوست الانجليزية عن انتشار اللغةالعربية بين الشعوب الاسلامية واهميتها ثم تقول : ولا مراء ان فى **اللغة العربية من اعظم ينابيع المعرفة التي يغترف منها العالم** ، ويزداد عدد المتكلمين بها يوما بعد يوم وتتسع حدودها .

ويقول سردنسون روس : « **العربية لغة القرآن والحديث وتاثيرها فى العالم الاسلامي** حق لا ريب فيه ليس ثمة دين عالمي آخر قامت فيه اللغة الاصلية للكتب المقدسة بذلك الشان الخطير كما هو فى الاسلام ويرجع هذا فى اساسه الى ذلك **التاثير المعجز الذى احدثه القرآن فى نفس كل من اعتنق الاسلام .**

من اجل ذلك كان لزاما على من يتقبل الاسلام ان يتقبل معه اللغة العربية تلك اللغة التي نزل بها القرآن وهنا نجد لغة حية يتكلمها اولئك القوم الذين دعوا سكان الممالك التي فتحوها للدخول فى الدين الجديد .

ويقول جورج سارتون : « وهكذا كانت العربية لغة الضاد ولغة الوحي ولغة اهل الجنة اكد الرسول وجوب قراءة القرآن باللغة العربية . ان **اللغة العربية من اجمل اللغات فى الوجود** . ان خزائن المفردات فى اللغة العربية غنية جدا ويمكن لتلك المفردات ان تزاد بلا نهاية ذلك لان الاشتقاق المتشابك والانيق يسهل ايجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه كل انسان على نظام معين .

وهكذا **يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى فى التعبير عن المقاصد .**

ويقول يوليوس جرمانوس : « ان **للغة العربية مقاما ممتازا بين جميع لغات العالم فان** تاريخها متصل غير منقطع منذ الف واربعمائة سنة. اما اللغة العربية فقد ثبتت على عاديات الزمن واحتفظت بكيانها كأنها اثر من آثار القدم ..

وقد كان لمرونة اللغة العربية وبلاغتها اثر فى نفوس الفرس ومن بعدهم الاتراك حتى انهم اقتبسوا طائفة من الالفاظ العربية حلت محل ما يقابلها من الالفاظ التركية والفارسية وقد اصبح **وجود الالفاظ العربية فى تينك اللغتين من متممات الفصاحة والبلاغة.**

وفى وسع الكاتب ان يورد مئات من الامثلة على ذلك (1) .

وختاما نسأل الله ان يوفق العرب والمسلمين للنهوض بلغتهم والاعتناء بها توصلا الى فهم الدين ومقاصده وغاياته والى نشره بين الامم وأن يشعر علماء المسلمين بواجبهم حيال لغة القرآن فيبذلوا الجهود ويكرسوا الاوقات للعناية بها ورد الشبهات التي يروجها اعداء الدين والعرب ووضع المؤلفات التي تساعد على امتدادها وتقريبها الى الاذهان .

ونتمنى ان يلتفت المثقفون الى دراسة اللغة العربية دراسة وعي واستنباط وتذوق وان لا يغتروا باقاويل واهية تدعو الى الصد عنها والى الزهد فيها وتحية للعاملين فى سبيل دينهم الحق وأمتهم المجيدة .

---

1) انظر كتاب اللغة العربية بين حماتها وخصومهافقد اورد فيه هذه الاقوال بتوسع .